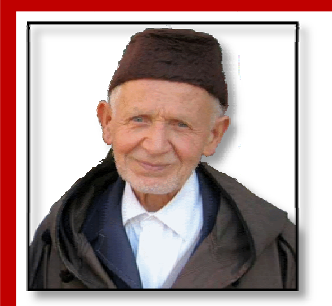


خطب منـ ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل



52. أهمّيّة التّجديد في تغيير الأحوال

9 رمضان 1380هـ الموافق 24 رمضان 1961م

الحمد لله الّذي وهب لنا كثيرًا من النِّعم، وفضّلنا بدينه على كثير من الأمم، وكلّفنا بتربية نفوسنا وإصلاح شؤوننا؛ حتّى نهتدي ونستقيم، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، يبدئ ويعيد، ويتصرف في شؤون خلقه كما يريد، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي اتّفقت له الفصاحة مع بلاغة الكَلِم، حتّى استطاع أن يقود العقول إلى توحيد ربّه ويحرّك الهمم، فاهتدى النّاس بدينه، وصدّقوا بمبدئه، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين استجابوا لندائه، وآمنوا برسالته، رضي الله عنهم ومن سلك مسلكهم واتّبع طريقتهم.

أمّا بعد: فإنّ تقلّبات اللّيل والنّهار، وتغيّر الأمور من حال إلى حال، لَدليلٌ قاطع على أنّ الحياة تتجدّد في كلّ وقت وفي كلّ زمان، وهكذا الإنسان الّذي خلقت هذه الأشياء لأجله، لا يستطيع أن ينتفع بشيء من ذلك، إلّا إذا غيّر كثيرًا من عاداته وطبائعه، وتطوّر مع الظّروف الّتي تدفعه إلى السّير دائمًا إلى طريق السّموّ والرّفعة.

ولذلك أصبحنا نشاهد اليوم طبقات المجتمع المختلفة الّتي ارتقت إلى أعلى القمّة، بسبب تجديد حياتها، وتثقيف نفوسها، فإنّها لو وقفت تنظر من ينهض بها أو بقيت تسير على عهدها القديم من غير تغيير للأوضاع والأشكال لما استطاعت أن تخطو هذه الخطوات الشّاسعة الّتي بدّلت حياتها تبديلًا محسوسًا، وأحرزت من وراء ذلك على كلّ أسباب الرّفاهيّة، والرّاحة النّفسيّة، والنّشاط المتجدّد يومًا بعد يوم.

وهذا التّقدّم الّذي نراه اليوم لم يأت عن طريق الصّدفة والاتّفاق، ولكن جاء بقوّة الهمم، وشحذ العزائم، والنّهوض الّذي لا ينبغي التّردد أو التّراجع أو البقاء على العهد البائد.

لذلك كان من السّنن الإلـهيّة أن يـجدد الله لتلك الأمم السّابقة على رأس كلّ قرن دينًا جديـدًا، وقانونـا سمـاويًّا يوافق العقول والظّروف والأحوال؛ حتّى تستطيع تلك الأمم أن تـجدّد حياتـها بسبب ما تـجدّد من عقولـها.

وهكذا نرى الدّين الإسلاميّ -الّذي جاء خاتـمة الأديان- أتى يـحمل لنا كلّ أسباب التّقدّم مـمّـا تسع له العقول والأفكار، وتتّسع له الظّروف والأزمان.

فبحيث من درس كلّ أنواع العلوم، وأنواع التّربية والأخلاق والفضائل، وكـلّ مـا يصـلح للنّـاس فــي حياتـهم مـمّـا يوافق زمانـهم وأمكنتهم، إلّا وجد له مصدرًا من كتاب الله -جلّ جلاله-.

وهذا الكتاب الإلـهيّ هو أكبر موسوعة، وأكبر دائرة للمعارف منذ خلق الله الكون إلى يومنا هذا، ولكن لـمّـا قصرت الـهمم، وضعفت العزائم، وجـمدت العقول والأفكار، أصـبحنا نـرى أنفسـنا بُعَـداء كـلّ البعد عن إدراك ما يـحويه كتابنا من كنوز وذخائر، أو السّيـر مع ركب الأمم الّتي أخذت شوطًا كبـيرًا في مضمـار الـحياة؛ لأنّنا لـم نستعمل تلك الـمواهب الّتي أودعها الله في نفوسنا وعقولنا، ولـم نـذلّل تلـك العقبات الّتي وقفت حجرة عثرة فـي طريقنا.

ولكن إذا أردنا تغيير حالنا فمـا علينا إلّا أن نبدّل كلّ الأوضاع الّتي لا توافق التّطوّر أو التّقدّم، ولْنَسِـر في سنّة التّجديد الّتي نراها فـي هذا الكون الّذي نعيش فوق أرضه وتـحت سمـائه.